علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأقطار المشرق العربي

د. يوسف مناصرية

قسم التاريخ

جامعة باتنة

ملخص

تعتبر العلاقات شرق – غرب من أهم الموضوعات التي تشغل الأمم لأنها تساهم في توضيح الأطروحات المستقبلية واستشرافها. والعلاقة بين بلدان المغرب العربي وبلدان المشرق العربي لها تاريخها الضارب في القدم، غير أنها ليست مدروسة بكيفية واسعة واضحة المعالم. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسد بعض الثغرات وتجيب على بعض التساؤلات التي طالما شغلت بال الباحثين والمهتمين. وقد اعتمدنا في إنجازها على أهم ما توفر من وثائق في دور المحفوظات الجزائرية والفرنسية بالأساس وركزنا على جهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في ربط العلاقات بين القطبين الشقيقين في الفترة الممتدة من 1919م إلى 1954م. وسيجد القارئ العناصر الأساسية مبينة في خطة البحث.

Résumé

Nul n'ignore le rôle extrêmement important qu'a joué l'Association des Uléma Musulmans Algériens dans la consolidation des relations culturelles et politiques entre l'Algérie et les pays du Moyen Orient, et en particulier en tant que mouvement réformiste durant la première moitié du xx ème siècle.

C'est à partir des axes suivants qu'on essaiera de présenter cette étude qui est essentiellement basée sur des documents d'archives:

1- Les relations entre les deux partis avant et après la création de l'association.

2- les relations bilatérales depuis la fin de la deuxième guerre mondiale tout en précisant le degré d'influence culturelle et politique entre les deux partis.

تقديـــم: تتناول هذه الدراسة علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأقطار المشرق العربي، وتفاعلها مع الأحداث البارزة التي وقعت في تلك الأقطار وأهمها القضية الفلسطينية والتي تعتبر القلب النابض للأمة العربية الإسلامية، والجرح الذي لم يندمل بعد على الرغم مما بذل من أجل معالجته ومداواته.

وأهم عناصر الدراسة هي:

1- علاقة الجزائر بأقطار المشرق العربي قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931.

2- علاقة جمعية العلماء المسلمين بالمشرق العربي قبل الحرب العالمية الثانية.

3- علاقة جمعية العلماء بالمشرق العربي من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اندلاع الثورة التحريرية 1954.

4- مدى استفادة الشعب الجزائري من مستوى الوعي الثقافي والفكري والسياسي الذي عرفته أقطار المشرق العربي.

1- علاقة الجزائر بالأقطار المشرق العربي قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931.

يقول المؤرخ الجزائري الكبير الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله "لقد كان العلماء (الجزائريون) ثمرة للحركة العقلية والإصلاحية الوطنية بالإضافة إلى حركتي الجامعة الإسلامية والقومية العربية العاملتين في الشرق الأدنى"[1] ويؤكد هذه الحقيقة هجرة العلماء الجزائريين خلال القرن التاسع عشر إلى الشرق الأدنى وإلى تونس والمغرب، وحاول بعضهم العمل على يقظة الجزائريين سياسيا ووطنيا معتمدا على أفكار

الجامعة الإسلامية وغادر الشباب منهم بلدانهم قبل الحرب العالمية الأولى، قصد الحصول على بعض الثقافة العربية والتوجه الإسلامي وكان أبرز هؤلاء عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، والطيب العقبي الذين تعلموا الأفكار النظرية عن الحضارة الإسلامية والتصورات العامة عن مشاكل وقوى، العالم كله[2].

وقد أشتهر على الشيخ الإبراهيمي قوله أن جمعية العلماء مدينة بالكثير للشيخ رشيد رضا ولمجلته "المنار" وأكد أن جهود الجمعية لها جذور عميقة في مبادئ وأعمال رضا. والواضح أن العلماء الجزائريين قد تأثرا بحركة الشيخ محمد عبده الإصلاحية وخاصة مبدأ الاجتهاد من جهة وتأثروا بفكرة الإصلاح الناضجة التي جاء بها بعض الشباب الجزائريين عند عودتهم من الحجاز مركز النهضة الإصلاحية. كما ذكر أيضا أن الشيخ ابن باديس قد أخذ تجربته ومعرفته من الشرق الأدنى، والحجاز، ومصر، وتركت الثورة العربية سنة 1916 طابعا دائما على حياته المستقبلية[3]. وكانت فرنسا قد عملت منذ بداية احتلالها للجزائر على عزل النخبة الجزائرية المثقفة نهائيا عن تطور الثقافة العربية الإسلامية في أقطار المشرق، ومع ذلك بقيت عناصر قليلة تأثرت بالجامعة الإسلامية وبزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1903[4].

وبالرغم من هذا الحصار فإن علماء الجزائر عرفوا المشرق العربي قبل الحرب العالمية الأولى فهذا الشيخ عبد الحميد بن باديس يزور أقطار المشرق عام 1912 لأداء فريضة الحج، واستقر مدة بالمدينة المنورة، ودرس على شيوخها، ومكث في القاهرة واخذ عن بعض المشايخ منهم العالم بالخياط مفتي الديار المصرية وتعرف على علماء من مدرسة الإصلاح ولاسيما الشيخ رشيد رضا وتشبع بأفكار محمد عبده[5].

وهذا الشيخ الطيب العقبي الذي تربى ودرس في المدينة المنورة، ومنها نفاه الأتراك خلال فترة الحرب العالمية الأولى إلى بلاد الأناضول، ولم يطلق سراحه إلا بعد نهاية الحرب سنة 1918 فاستقر به المقام في مكة المكرمة، مكرما من أميرها الشريف حسين حيث ولاه إدارة جريدة (القبلة) ومطبعتها الأميرية ولم يلبث أن عاد إلى الجزائر يحمل معه الأفكار الإصلاحية[6].

كما عرفت بلاد المشرق العربي علماء جزائريين آخرين منهم البشير الإبراهيمي المدرس بمدارس الشام وحصل من سوريا على معرفة واسعة بالأدب العربي والحضارة الإسلامية. ومنهم العربي التبسي والمولود الحافظي والرزقي الشرفاوي الذين جمعهم لواء العلم والدين بالقاهرة وتكونت بهم وبأنصارهم أولى عناصر النهضة العربية الإسلامية في الجزائر منذ السنوات الأولى من العشرينيات[7].

وهكذا عاد هؤلاء الشباب المثقفين إلى الجزائر يحملون معهم رصيدا من التقاليد الشرقية والمعارف الشخصية عن الشرق وأهله. وكان معظم هؤلاء قد ساهموا بأقلامهم في صحف ومجلات الشرق أيضا فكتب الشيخ العقبي في جريدة (القبلة) بالحجاز، وكتب رضا حوحو في مجلة (المنهل)، وكتب الشيخ الإبراهيمي في عدة صحف شرقية، وكتب زهير الزاهري في مجلة (الفتح المصرية)، وأدخلوا إلى الجزائر المبادئ الوهابية والأفكار العبدوية. ودخلت عن طريقهم أفكار الإخوان المسلمين[8].

وانتشرت هذه الأفكار في نادي الترقي بالعاصمة الجزائر الذي أنشأه بعض المحسنين الجزائريين سنة 1927، وكانت تنظم فيه الندوات وتلقى المحاضرات. وكان

مزارا للرحالة العرب والمسلمين من المشرق، وبه مسقط رأس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 ومنطلق نشاطها واجتماعاتها[9].

وقد ضمت جمعية العلماء تيارين إصلاحيين الأول محلي ومعتدل يتحرك رجاله داخل القوانين الفرنسية ويقبلون معه الوظائف الرسمية من الفرنسيين. والثاني عربي إسلامي متطرف ناظر إلى الجزائر على أنها قطعة مسلوبة من الوطن العربي الإسلامي[10].

وكانت الغلبة في الجمعية للتيار الثاني ولذلك فالحديث عن جمعية العلماء هو الحديث عن الوطنية المرتبطة بالأصالة العربية الإسلامية، فهي كانت تمثل القيم الوطنية النابعة أولا من الإسلام السلفي الصافي الذي عملت على التمكين له والتأدب بآدابه والتحلي بفضائله، وثانيا من العربية المتأصلة في النفوس، التي عملت الجمعية على تخليدها وحفظها وإبراز قدرتها على التعبير والتفكير والكشوف العلمية. ومن هنا نقول أنه بالإسلام والعربية استطاعت جمعية العلماء أن تحفظ الجزائر من الاندماج والمسخ والفرنسة، وبهما استطاعت أن تجمع الكلمة، وتوحد الصفوف الوطنية العربية الإسلامية.

والفضل في ذلك كله يعود إلى الرصيد العلمي و المعرفي الذي أخذه العلماء من دول المشرق العربي والإسلامي. وعملوا على نشره بين طلابهم بعد تأسيس الجمعية سنة 1931 وكانوا يركزون خاصة على أن جميع سكان شمال إفريقيا الشمالية من أصل عربي وأن العرب هم الذين اكتشفوا أمريكا وكانوا يمجدون الفتوحات العربية[11].

2- علاقة الجمعية بالمشرق العربي منذ تأسيسها عام 1931 :

كانت العلاقة بين جمعية العلماء والأقطار العربية في المشرق قائمة على الدوام. وكان علماء الجزائر يتبادلون الأفكار مع إخوانهم المشارقة ويتشاورون معهم حول قضايا الوحدة العربية – وقد برز ذلك سنة 1936 في رسالة الأستاذ أمين السعيد[12]. المدير المؤسس للجمعية الأسبوعية (الرابطة العربية) التي كانت تصدر بالقاهرة – ووجه فيها أربع رسائل إلى علماء الجزائر منهم الشيخان ابن باديس والعقبي، والأستاذ أحمد توفيق المدني، والدكتور محمد الصالح بن جلول وكان مضمون تلك الرسالة[13] – الموجهة أيضا إلى شخصيات إسلامية أخرى– محاولة معرفة أراء علماء الجزائر حول إمكانية تأسيس دولة عربية موحدة أو كفدرالية للدول العربية. وكانت الأسئلة كالتالي:

1 - ما هو بالنسبة إليكم حال العالم العربي في الوقت الحاضر ؟
2 - كيف ترون تأسيس خلافة عربية، وهل الوقت مناسب لذلك ؟
3- في حالة الإيجاب من أية ناحية تكون بداية العمل ؟

ولسنا ندري إن كانت المجلة قد تلقت أجوبة من الشيوخ والأساتذة الجزائريين أم لا. ولكن المؤكد هو أن مثل هذه الأفكار كانت تشغل بال العلماء الجزائريين. وكانت من أهم انشغالاتهم وتطلعاتهم[14].

وفي هذه الظروف كان العلماء واعين بالخطر الصهيوني يهدد كيان الأمة العربية، واتخذوا موقفا مشرفا من القضية الفلسطينية وجهاد الشعب العربي ضد العدو الصهيوني وذلك على الرغم مما كان يعانيه الشعب الجزائري من طغيان واستبداد الاستعمار الفرنسي. وقد لاحظت المصادر الاستعمارية أن موقف الجزائريين كان أكثر

حدة وتجاوبا مع القضية الفلسطينية من إخوانهم في بلدان المغرب العربي نظرا لما عانوه من ويلات الاستعمار الفرنسي فقد عرف الجزائريون التجربة الأساسية في الدفاع عن هويتهم، ونما عندهم هذا الشعور بالانتماء العربي الإسلامي وتمحور حول فلسطين باعتبارها قلب الأمة العربية وأساس بناء وحدتها[15]. ولقد تأثر الجزائريون مثلهم مثل غيرهم من الشعوب العربية والإسلامية، بالأحداث العربية والإسلامية والتي كان أبرزها مؤتمر القدس المنعقد في ديسمبر 1931. واعتبروا المؤتمر بادرة حسنة في تاريخ الأمة العربية والإسلامية وخاصة أنه ندد بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، وبعملية بيع الأراضي الفلسطينية إلى اليهود الصهاينة[16]. ولما اندلعت ثورة 1936- 1939 كبر أمل المسلمين الجزائريين في نجاحها وعملوا على تدعيمها بالدعوة إلى الجهاد بالنفس والنفيس. وبادر حزب الشعب الجزائري سنة 1936 إلى تكوين لجنة الدفاع عن فلسطين، وعبر بذلك عن توجهه الوحدوي العربي والإسلامي، ونظم التجمعات الاحتجاجية في الجزائر وفرنسا ضد التصرفات الاستعمارية الصهيونية والإنجليزية في فلسطين العربية[17].

أما جمعية العلماء فقد اعتبرت القضية الفلسطينية قضيتها المصيرية، وقام الإمام ابن باديس في جوان 1936 بفتح اكتتاب لجمع الأموال لتدعيم عرب فلسطين، وقـدم طلب رخصة في ذلك من السلطات الاستعمارية الفرنسية. ونظم اجتماعا لأعضاء الجمعيـة بنادي الاتحاد بمدينة قسنطينة يوم 18 جوان من نفس السنة، وذلك بهدف تكوين لجنة تتكفل بجمع الأموال وإرسالها إلى الفلسطينيين. ووزعت قوائـم الإمضاء بين الشباب المسلمين ومحبي الخير، والمتعاطفين مع القضية الفلسطينية. وكان لهذه القضية صداها في الأوساط الشعبية، وعمل المسلمون الجزائريون على تحدي السلطة

الاستعمارية وقراراتها المضادة للقضية الفلسطينية، والتي أمرت بمنع توزيع أي منشور يتعلق بفلسطين. وبرز ذلك التحدي في وجود الكثير من المناشير تحمل عنوان (على هامش أحداث فلسطين) تباع في الأكشاك بمدينة قسنطينة [18].

واستمرت دعوة جمعية العلماء تساند عرب فلسطين بين سنوات 1936-1938 حين ظهرت إلى الوجود (لجنة إغاثة فلسطين العربية) برئاسة الشيخ الطيب العقبي. ونتج عن ذلك انتشار الوعي في أوساط المسلمين الجزائريين بالقضية الفلسطينية، وكثرت التبرعات المالية لصالح العرب ضحايا الصهيونية- وكان اهتمام جمعية العلماء بالقضية العربية المصيرية لم يجعلها تقتصر على جمع الأموال في المدن الجزائرية الرئيسية والتنديد بتصرفات الاستعمار الإنجليزي في فلسطين، وإنما تعداه إلى توزيع قوائم الاكتتاب سريا في المدن الجزائرية الساحلية والداخلية. وأعطت الجمعية أوامرها إلى الشيخ الفضيل الورتلاني ممثلها في باريس ، والشيخ السعيد صالحي ممثلها في مرسيليا لمواصلة الدعوة لنفس الغرض [19]

3- علاقة جمعية العلماء بالمشرق العربي من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية.

ركزت جمعية العلماء بعد الحرب العلمية الثانية على توضيح توجهها الوحدوي العربي الإسلامي، وظهر ذلك في نشاط الشيخ الفضيل الورتلاني، مبعوث الجمعية إلى المشرق العربي[20].

وجاء في تصريحه إلى مجلة (الأفكار) الشهرية الصادرة في مدينة عدن، حين مروره بها في شهر ماي 1947، أشاد فيه بالروح القومية التي لقيها في مصر (معقل الوطنيين العرب) حسب تعبيره.

وكانت مصر بالفعل قبلة للوطنيين المغاربيين على وجه الخصوص، واحتضنت زعماء الأحزاب السياسية ووفرت لهم الجو المناسب للعمل والكفاح من أجل التحرر. ففي القاهرة نشأت سنة 1947 (جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا) التي أخذت اسما جديدا بعد ذلك وهو (لجنة تحير شمال إفريقيا)، وضمت ممثلين عن الحزب الدستوري التونسي الجديد يمثله الأستاذ الحبيب بورقية، وحزب الشعب الجزائري يمثله الأستاذ الشاذلي المكي، وحزب الاستقلال المغربي يمثله الأستاذ أحمد عبد المالك[21]. وكان الفضيل الورتلاني ممثلا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واختير أمينا عاما للجنة تحرير شمال إفريقيا. وركز الورتلاني على توضيح مسألة عروبة الشعب الجزائري وتمسكه بدينه الإسلامي، وأكد على تعلق شعوب المغرب العربي في الجزائر وتونس والمغرب بالجامعة العربية. ثم فضح مساوئ الاستعمار الفرنسي وبشاعة السياسة الفرنسية في المغرب العربي عموما وفي الجزائر على وجه الخصوص ذلك أن فرنسا كانت تعتمد نظام الحماية في كل من تونس والمغرب.

أما الجزائر فكانت تعتبرها قطعة من فرنسا عليها تنصيرها وفرنستها أرضا وشعبا والقضاء على كل ما يربطها بالعروبة والإسلام. وقدم الورتلاني شروحا وافية عن الوضع في الجزائر وما كان يعانيه الشعب الجزائري من اضطهاد وظلـــم وتعسف

في جميع الميادين الثقافية والاقتصادية والاجتماعية. أما الجانب السياسي فكان محرما على الجزائريين بحكم القوانين الاستثنائية المفروضة على الشعب الجزائري.

ولم تكن بلدان المشرق العربي على إطلاع واسع بما كان يجري في الجزائر، ولا الجزائر كانت تعلم ما كان يدور في المشرق العربي إلا قليلا بحكم أن فرنسا طوقت الحصار على الجزائر ومنعت دخول الصحف والجرائد العربية واعتبرتها أجنبية ومصدر شغب وفوضى، وطبقت في الجزائر سياسة ثقافية فتتت عن طريقها القيم الإسلامية والعربية، فصار الإسلام دينا محليا لكل فئة دينها، والعربية لغات الصريحة ميتة، والمتداولة في الصحف العربية أجنبية، والعامية محلية تختلف من جهة لأخرى. ولم تكتف بذلك بل عمدت إلى تزييف الحقائق، وعمل أعوانها على إقناع الأقطار العربية في المشرق بالدور الحضاري الذي تقوم به فرنسا في دول المغرب العربي[22].

وبالإضافة إلى فضح الأساليب الاستعمارية عملت جمعية العلماء على تدعيم الوحدة العربية بين أقطار المغرب والمشرق العربيين.

وبلغت آراءها وأفكارها على طريق ممثلها الشيخ الورتلاني الذي أكد على ضرورة التماسك في مواجهة الاستعمار الثقافي والاقتصادي والتصدي للتدخل الأجنبي. وألح الورتلاني على حتمية التعاون والتكامل بين الأقطار العربية الشقيقة. وخص بالذكر -كأمثلة - البلدين الشقيقين اليمن ومصر. وكان يرى فيهما نموذجا لإنشاء مؤسسات التعاون التجاري من خلال الشركات الصناعية وفتح طرق المواصلات الدائمة بين البلدين.

وكان الشيخ الورتلاني قد تجول في القطر اليمني الشقيق على عهد الإمام محمد بن سالم. ألقى خطبا في مساجد صنعاء. وكان يكسوها الطابع الإصلاحي الديني والاجتماعي والوعظ والإرشاد. وكانت خطبة في المساجد والنوادي لا تخلو من التذكير بفضائع الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وضرب لذلك مثلا مجازر الثامن من ماي 1945 التي سقط خلالها أكثر من خمس وأربعين ألف شهيد جزائري [23].

وقد تعرفت أقطار المشرق العربي على نشاط جمعية العلماء في الجزائر وصراعها المرير ضد الاستعمار الفرنسي، من خلال الرسائل التي كان يبعث بها رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الشيخ الورتلاني. فعن طريق هذه المراسلات تعرف الإخوة العرب على نشاط الجمعية وما كانت تبذله من جهد في سبيل عروبة الجزائر وإسلامها وكفاحها ضد الاستعمار الفرنسي، وتصديها لتيار الفرنسة والتنصير، وعملها في سبيل نشر الفكر العربي الإسلامي عبر القطر الجزائري. وقد أكدت جمعية العلماء على قناعة الجزائريين وعزمهم على ربط علاقات التعاون مع العالم العربي الإسلامي الذي تربطه بالجزائر المبادئ الأخوية والدينية واللغوية.

وعبر الإبراهيمي في رسائله عن تسامح وعدالة وإنسانية الأمة العربية بقوله: " إن العرب والمسلمين إذا ما توفرت لهم القوة فإنهم سيستخدمونها في نشر العدالة بين الإنسانية جمعاء، ويعتنون بها عناية الأم بر ضيعها ".

ومن خلال ذلك عرفت أقطار المشرق العربي أن جمعية العلماء - ومن خلالها الشعب الجزائري- ضحت بكل غال ونفيس في سبيل العروبة والإسلام، ومحاربة

الاندماج والمسخ، وإن هدفها الأسمى طبع الجزائر إلى الأبد بطابعها الحضاري والعربي الإسلامي، وحسب قول الإبراهيمي " تعجنها عجنا في القومية العربية، وتطهرها من قذارة الاستعمار، ذلك أن الأمة تنحدر من السلالة العربية وتستمد تعاليمها من الدين الإسلامي، وورثت إمداد بغداد ودمشق والأندلس، وهي أمة خالدة وستفوز لا محالة بالعظمة "ويواصل الإبراهيمي قوله:" سنواصل بذل النفس والنفيس حتى تحطيم أصنام الاستبداد أو أن يشهد الله والعالم بأنه بالنسبة إلينا ليس هناك فرق قط بين حياة العبودية والموت" [24].

بالإضافة إلى نشر أفكارها في المشرق العربي اعتنت الجمعية بالقضية الفلسطينية واعتبرتها جوهر الصراع الحضاري في الشرق الأوسط. وقد اتخذت هذا الموقف من باب الشعور بالمسؤولية، واستفادت من معاناة المجرب لداء الاستعمار المرير الذي أصاب الجزائر قبل أختها فلسطين.

وكانت الجمعية تعرف جيدا اختلاف الأهداف والإبعاد بين الاستعماريين، كما كانت تدرك أوجه التوافق بينهما إذ تعرضت فلسطين مثل أختها الجزائر في السابق، إلى محاولة السلخ النهائي عن جسم الأمة العربية. ومثلها حاولت فرنسا زرع شتات الأوربيين على أرض الجزائر عملت الصهيونية على تمركز يهود العالم في الأرض الفلسطينية.

ولهذه الأسباب جاء موقف جمعية العلماء بصفة خاصة والجزائريين بصفة عامة من القضية الفلسطينية مستمدا من تجربة عميقة ومعرفة أكيدة لمخططات الاستعمار

الهدامة. وظهر اهتمام العلماء بالقضية الفلسطينية في المقالات التي نشرتها جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء، وكان لتلك المقالات أثرها البليغ في أقطار المشرق العربي وفي أوساط كتابها ومثقفيها. وكتب بعضهم من العراق ولبنان ومصر وفلسطين وليبيا يثني على الأقلام الجزائرية [25].

وتجند الشباب الجزائري في صفوف الجيش العربي سنة 1948 دفاعا عن فلسطين فالتحقوا بمكاتب التجنيد في تونس والقاهرة وسورية. وسجلوا أسماءهم بماء من ذهب على صفحات الكفاح العربي. وقد تأثروا بدعوة جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري إلى الجهاد بالنفس والنفيس. ولم يحد الإعلان المشؤوم عن ميلاد الدولة العبرية على أرض فلسطين الزكية من عزيمة رجال جمعية العلماء بل زادهم صلابة في المواقف، فنجد رئيسها الشيخ الإبراهيمي يبادر بتقديم مكتبته الثمينة لأية هيئة تتقدم للقيام بواجب إعانة فلسطين ماليا. وانتشرت أنباء نصرة جمعية العلماء للقضية الفلسطينية في بلدان المشرق العربي ومنها فلسطين التي كتب مفتيها الأكبر الشيخ الأمين الحسيني رسالة إلى الشيخ الإبراهيمي مؤرخة بالقاهرة في 24 أوت 1948 أثنى فيها على جهود الجمعية العربية الإسلامية[26].

وفي إطار ربط مصير الجزائر بمصير العروبة والإسلام وتماثل الأهداف من أجل تحقيق استقلال البلدان العربية المستعمرة، سافر الشيخ الإبراهيمي إلى المشرق العربي لتوثيق العلاقات بين الجزائر وشقيقاتها العربيات ونشر أفكار الجمعية عن قرب والتعريف بالقضية الجزائرية، وفي الاجتماع الذي عقدته اللجنة السياسية للجامعة العربية في ربيع 1953، والذي خصصته الجامعة لمندوبي المغرب العربي ليوضحوا

أحوال بلدانهم، طالب الإبراهيمي الجامعة أن تعنى عناية خاصة بالقضية الجزائرية وأن تساعد الشعب الجزائري للحصول على حقه في تقرير مصيره[27].

وفي نفس الإطار وتحقيقا لنفس الأهداف الوحدوية، حين تأليف ميثاق اتحاد أحزاب الشمال الإفريقي (الجزائر وتونس والمغرب) سنة 1952، أقامت شعبة جمعية العلماء بباريس مأدبة عشاء يوم 29 فيفري من نفس السنة بنزل العالميين les deux mondes، دعت إليها وفود الدول العربية والإسلامية تكريما لعملها لخير العروبة والإسلام، وتمتينا لروابط الأخوة الصادقة في الشمال الإفريقي وبين أقطار الأمة العربية. وحضرت الوفود العربية على رأسها الأمين العام لجامعة الدول العربية، الأستاذ عبد الرحمن عزام، ورئيس الوفد السوري الأستاذ فارس الخوري، ورئيس الوفد العراقي الأستاذ فاضل الجمالي. وتذاكروا مع الشيخ الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء، أيام الأمير فيصل، ملك سورية والعراق خلال العشرينات والذي كان يلقب (فيصل العرب)[28].

ووفقا لمبدأ تمتين عروبة الجزائر وإسلامها، نظمت جمعية العلماء طلابها خريجي معهد ابن باديس بقسنطينة، في بعثات أرسلتها إلى دول المشرق العربي لمتابعة الدراسة في الثانويان والمعاهد والجامعات. ومن الدول التي أرسلت إليها بعثات طلابية نذكر مصر، العراق، سورية، الكويت.

وقد وجد الطلبة لدى إخوانهم العرب صدورا رحبة وخاصة من قبل المسؤولين الذين فتحوا لهم أبواب المدارس والمعاهد والجامعات بصفة استثنائية نظرا لتأخر حضورهم وكانوا محل تقدير واحترام الشعوب العربية [29].

4- مدى استفادة الشعب الجزائري من مستوى الوعي الثقافي والفكري والسياسي الذي عرفته أقطار المشرق العربي:

1- لعل أول ما يتبادر إلى الذهن هو مدى استفادة علماء الجزائر من حركة الجامعة الإسلامية التي انتشرت أفكارها في ربوع أقطار المشرق العربي مع نهاية القرن التاسع عشر على يد الإمامين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده – غير أن التأثير الواضح لهذه الحركة وانتشار أفكارها في الجزائر يعود بالأساس إلى سنة 1903 حين زيارة الإمام محمد عبده إلى الجزائر بدعوة من فرنسا لتدعيم سياستها الإسلامية في الجزائر خاصة في عهد الحاكم العام جونار الذي أمر بطبع بعض المؤلفات الجزائرية القديمة مثل البستان لابن مريم من جهة ولتظهر عداوتها لإنجلترا التي كانت تنافسها على ممتلكات الخلافة العثمانية وعلى تقسيم المغرب الأقصى من جهة أخرى.

2- العامل الثاني هو انتشار مجلة المنار التي كانت تحمل أفكار وأراء الشيخ رشيد رضا، وآمن بها بعض المثقفين الجزائريين خاصة منهم علماء تلك الفترة، وعن طريقها عرفوا أحوال المشرق وما كان يخططه الاستعمار ضد المنطقة خاصة منها العمل على إنشاء الكيان الصهيوني على أرض فلسطين ونحن نعلم أن البحث التاريخي اثبت أن فرنسا قد سبقت إنجلترا في الاهتمام بجمع الصهاينة في فلسطين.

3- استفادت جمعية العلماء من الأفكار الإصلاحية التربوية التي تميز بها فكر الشيخ محمد عبده، وطبقتها في الميدان وأسست المدارس للبنات والبنين وباشر أعضاؤها دروس الوعظ والإرشاد في المساجد، وتقديم الدروس للكبار والصغار فيها.

4- يعود الفضل إلى الوعي القومي العربي في صقل ذهنية وأفكار زعماء الحركة الوطنية الجزائرية وعلى رأسهم مصالى الحاج، زعيم نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري، وقد أثر في شخصيته الأمير شكيب أرسلاك بفكره العربي الوحدوي وعن طريقه عرف مصالى الحاج سبيله إلى إبراز ثوابت الجزائر المتمثلة في الإسلام والعربية والتوجه الحضاري العربي الإسلامي.

5- يعود الفضل إلى التكوين في المعاهد العربية التي صقلت أفكار علماء الجزائر وأنارت طريقهم إلى الإصلاح الإجماعي والثقافي والصحفي وقد ذكرنا ما قام به شيوخ العلماء من أمثال إبن باديس والعقبي والإبراهيمي. ففي هذه المعاهد تعلموا معنى الوحدة العربية والأخوة الإسلامية واطلعوا على أمراض مجتمعاتهم وعرفوا سبيل مداواتها.

6- لقد دفعتهم السياسة الاستعمارية إلى الهجرة وساقهم شعورهم الوحدوي إلى بلاد المشرق أين وسعوا معارفهم العلمية والثقافية، وأطلعوا على تجارب أمتهم العربية وتغذوا بالروح القومية والوطنية وآمنوا بالمصير المشترك.

الهوامش

[1] عبارة العلماء هنا تعني أولئك الجزائريين المثقفين الذين بالرغم من تعليمهم العربي وتوجيههم الإسلامي، أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا ووطنيا، طالع أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، الجزائر ش.و.ن.ت.، 1983، ط3، جـ 2، ص 407.

[2] سعد الله، الحركة، ص ص 408-409.

[3] سعد الله، الحركة، ص ص 410-414 .

[4] أبو القاسم سعد الله، (مدار س الثقافة العربية في المغرب العربي 1830 - 1954 دراسة مركزة على الجزائر)، مجلة الثقافة، عدد 79 (يناير - فبراير، 1984)، ص ص 74.

[5] د. ناصر الدين سعيدوني و د. أبوعمران ، الشيخ ، (وآخرون)، معجم مشاهير المغاربة، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1995، ص ص 64-65.

[6] يقول الدكتور سعد الله أن الشيخ العقبي هاجرة إلى الحجاز سنة 1895 وفي المدينة المنورة حفظ القرآن ودرس المعارف وكتب في الصحف. كما هاجر الشيخ الإبراهيمي إلى الحجاز أيضا سنة 1912 حيث درس وقوى من معارفه وأستقر في سوريا سنة 1917 -وهاجر ابن عليوة أحد رجال الطرقية الجزائريين وتنقل منذ 1909 بين مصر وسوريا وإيران والهند. وكان له أتباع من سوريا وليبيا وتونس والمغرب - انظر، سعد الله ، الحركة، ص ص 416-419.

[7] محمد الطاهر، فضلاء، الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، الجزائر، وزارة الثقافة، 1984، ص ص 38-39

[8] سعد الله، (المدارس ...) ، ص ص 89 .

[9] سعد الله ، (المدارس....) ، ص ص 85 .

[10] نفسه، ص ص 86

[11] سعد الله ، الحركة ، ص ص 425 .

[12] صدر له كتاب (الثورة العربية الكبرى). وهو صاحب التساؤلات المطروحة للتحقيق منذ جوان) 1935. وكان من بين الزعماء العرب الذين نشرت أفكارهم حول هذا الموضوع الزعيم الوطني السوري فقهي البار ودي بتاريخ 09 سبتمبر1936. أنظر: Archives Outre Mer, Aix E. Provence, Carton 29H35 -

[13] أرسلت هذه الرسالة بتاريخ 15-09-1936 إلى السيد محمود نسيم، صاحب المطبعة المصرية الكائنة بشارع لالير رقم 42 الجزائر العاصمة. طالع نفس المصدر.

[14] أنظر:

Archive Outre Mer Aix en Provence .Carton 29H35

[15] أنظر:

-Jean-Paul, CHAGNOLLAUD, Maghreb et Palestine, Paris, Sindbad,1977,PP. 55-57

[16] نفس المرجع.

[17] يوسف، مناصرية، " بعض وثائق حزب الشعب الجزائري حول لجنة الدفاع عن فلسطين العربية"، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 3 جامعة الجزائر ،(الجزائر 1987)، ص ص 144-155.

[18] يوسف، مناصريه،"بعض وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حول لجنة إغاثة فلسطين العربية 1936-1938 "، مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة، (الجزائر، 1988) ص ص 176-192

[19] يوسف مناصرية، "بعض وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حول لجنة إغاثة فلسطين العربية 1936-1938"، مرجع سابق.

[20] كان الشيخ الورتلاني يمثل جمعية العلماء في فرنسا وعمل على حماية وتحصين المهاجرين المسلمين من المسخ الحضاري والديني واللغوي. ولما أبعد من فرنسا أضمحل نشاط الجمعية بها.طالع: (مؤتمر جمعية العلماء)، جريدة المنار، سنة 1 ، عدد9 ، (الجزائر ، 5 أكتوبر 1951).

[21] أنظر:

- Archives Quai d'Orsay, Série Afrique - Levant 1944-1959, sous-série Algérie 1944-1952, Dossier N° 5, (Rapport du Gouverneur de la Cote française de Somalie a M. Ministre de la France d'Outre Mer), Paris, mai 1948.

[22] من بين الذين كانوا يروجون الأفكار الفرنسية الزائفة، الجزائري سعد الدين إبن أبي شنب ممثل فرنسا في المملكة العربية السعودية، وقد بذل جهدا في محاربة الشيخ الورتلاني في المشرق العربي. طالع رسالته الموجهة إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ: 1947/07/11 في:

- Archives Quai d'Orsay, Op.cit. (Rapport de M. S, BENCHENEB, Ministre de France en Arabie Saoudite à M. Ministre des Affaires Etrangères) .Djeddah, le 11/07/1947.

[23] أكدت الكثير من المصادر أن شهداء 1945/5/8 كانوا أضعاف الإحصاءات المذكورة. طالع: أبو القاسم سعد الله، " الجديد عن أحداث 8 ماي 1945 "، **مجلة التربية**، العدد 2، (الجزائر، 1984). وكذلك:

-Archives du Chateaux de Vincennes, Armée de Terre, Service Historique, 1H2845 et 1H2846, (insurrections de Sétif).

-Archives Quai d'Orsay, Op.cit. Dossier N° 2 et 4 (Troubles dans le Constantinois de mai 1945).

[24] حول رواج أفكار الشيخ الإبراهيمي المذكورة في المشرق العربي طالع:

- Archives Quai d'Orsay, Op.cit.,(Rapport de l'ambassadeur de France en Egypte), Octobre 1947.

[25] من بين المفكرين العرب الذين كتبوا رسائل كلها إعجاب بمقالات البصائر الأستاذ فايز الصائغ، أستاذ الفلسفة بالجامعة الأمريكية ببيروت. طالع البصائر، السنة2 ، عدد 52 (الجزائر ، 1948/10/11).

[26] البصائر، السنة 2، عدد 52، (الجزائر، 1948/10/11).

[27] جريدة المنار، السنة 3، عدد 49، (الجزائر، نوفمبر 1953).

[28] محمد، خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، الجزائر، مطبعة دحلب، 1985، جـ1، ص ص 368-171

[29] خير الدين، نفس المرجع، ص ص 445-449 .